﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء: 92 - 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

بعدَ ذِكرِ بروزِ النّار وانكشافِها للغاوين توبيخٌ لهم قبل الكبكبةِ فيها

لَمّا فرغَ من ذكرِ البعثِ يوم القيامة ومجازاةِ اللّه مَن آمن به، واتَّقاه بالجنَّة، ومن عصاه، وعبدَ غيره بالنّار؛ عادَ إلى سؤالِ المشركين ثانيًا - عند معاينة بروزِ النّار العظيمة للغاوين، وانكشافها لهم انكشافًا عظيمًا وقبل دخولهم النار - على جهةِ التَّوبيخ والاستهزاء والتَّبكيت والتَّنديم، وأنَّهم لا ينصرونهم في دفعِ السّوء عنهم، ولا ينتصرون لأنفسهم بحال، فقال: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾، وهذا من حُسن الانتقال[1].

بعد ذكرِ قصَّة إبراهيمَ أعقبَها بذكرِ حالِ من كفرَ بما جاء به

بعد أنْ ذكرَ القرآنُ من البيانِ في قصَّة إبراهيم، ممّا لم يُذكر في سورٍ أخرى إلّا بعض ما يتعلَّق بعبادة الأصنام؛ ذكر سبحانه بعضَ ما يكون يوم القيامة من أحوالِ مَن كفرَ بما جاء به، فقال اللّه تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَعْبُدُونَ﴾: أصلُ (عبد) يَدُلُّ على لينٍ وذُلٍّ[3]، ومنه قولهم: طريقٌ مُعبَّدٌ، أي: سَهْلٌ مُذلَّلٌ؛ لكثرة وطْءِ الأقدام له[4]، والعَبْدُ: الإنسانُ، يُقالُ: فُلانٌ عَبْدٌ للّه، أَيْ: مَملوكٌ لَهُ، ويُجْمَعُ على عَبيدٍ وعِبادٍ[5]، والاسْتِعْبادُ والإِعْبادُ: اتِّخاذُ الشَّخْصِ عَبْدًا ورَقيقًا[6]،

(1) المؤيّد بالله، الطراز لأسرار البلاغة: 2/ 177.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5372.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 7.
(6) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (عبد).

والعُبوديَّةُ: إظهارُ التَّذلُّل، والعِبادَةُ أبلغُ منها؛ لأنَّها غاية التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا مَن له غايةُ الإفضال، وهو الله تعالى[1]، والمقصودُ بالعِبادَةِ في الآية: فِعْلٌ يَدُلُّ على الخُضوعِ والتَّذلُّلِ للأصنام والأنداد.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الآلهةُ المعبودةُ والعابدون لها في نار الجحيم

وقيل للغاوينَ توبيخًا لهم: أين مَعبوداتُكم التي كنتُم تعبُدونَها في الدُّنيا مِن دونِ اللهِ، وتزعُمونَ أنَّها تنفَعُكم، وتشفَعُ لكم؟ هل ينفعونكم بنصرتهم لكم، ويمنعونكم من العذاب؟ وهل ينفعون أنفسهم بانتصارهم ودفعِ العذاب عنهم؟ لا يحصل كلا الأمرين، فإنَّهم وآلهتهم وقودُ النّار، وحصب جهنَّم، هم لها واردون[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾:

عـذابٌ نفسيٌّ للكافرين جمعَ بين مشاهدةِ الجحيم وتوبيخهم بما يزيدهم ندمًا وحسرةً

الواو في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ عاطفةٌ[3]، والمعطوف عليه جملة ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ بجامع أنَّ كليهما من أحوالِ يوم القيامة، فالأولى حديثٌ عن معاينةِ الغاوين بروزَ النار العظيمة وانكشافها لهم انكشافًا عظيمًا، والثانية خطابهم بعد هذه المعاينة، وقبل دخولهم النار خطابًا توبيخيًّا، يُظهر عجزَ الأصنام التي عبدوها من دون الله، بما يزيد ندمهم وحسرتهم.

دلالةُ صيغةِ الفعلِ: ﴿وَقِيلَ﴾:

المشركون أحقرُ من أنْ يوجِّهَ اللهُ إليهم خطابَهُ مباشرة

آثرَ البيانُ الإلهيُّ التَّعبيرَ بالمبني للمفعول، في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾، ولم يأتِ بالمبنيِّ للفاعل؛ لتعلُّق الغرضِ بالقول نفسه لا بمعرفة الفاعل، أي: القائل، أي: وقيل لهم هذا الكلام، ولإفادة العموم بحيث يصلحُ أنْ يكون القائلُ أيَّ أحدٍ؛

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (عبد).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 597، والسّمرقندي، بحر العلوم: 2/ 559.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 55.

تحقيرًا لشأنهم[1]، وتوبيخًا لهم[2]؛ لأنَّ المشركين أحقرُ من أنْ يوجِّهَ اللّهُ خطابه إليهم مباشرة[3]، وخاصَّة أنَّ السّياقَ هو بيانُ سوءِ حالهم، فناسبَهُ بناءُ الفعل للمفعول؛ لأنَّهم لا يستحقّون التَّشريف.

سرُّ العدولِ في: ﴿وَقِيلَ﴾:

في تحقُّقِ وقوعِ القول للغاوين دلالـــةٌ عـلى توبيخهم

عدل البيانُ القرآنيُّ عن التَّعبير بصيغة المضارع إلى الماضي، في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾، فلم يقل: (ويُقال لهم)؛ للدِّلالة على تحقُّقِ وقوعِ القول توبيخًا لهم، أي: كأنَّه وقعَ حتى صحَّ أنْ يُخبرَ عنه أنَّه قد حصل، وهذا كثيرٌ في كلام اللّهِ عن أحداث السّاعة.

معنى اللام في قوله: ﴿لَهُمْ﴾:

القولُ الذي بُلِّغ للغاوين يحمل لـهـم تـبـكـيتًـا وتوبيخًا

اللامُ في قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ لامُ التَّبليغ، "وهي الجارَّةُ لاسمِ السّامع لقولٍ أو ما في معناه"[4]، ويتمُّ بها تعديةُ فعلِ القولِ إلى المخاطَبِ بالقول، أي: بُلِّغ الغاوون هذا القول الذي يحملُ التَّبكيت والتَّوبيخ والتَّأنيب والتَّحسير لهم.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾:

لـفـتُ انـتـبـاهِ الـسـامـعـين إلى اختصاصِ هـذا الـتَّـوبـيـخ والـتَّـبـكـيـت بالغاوين دون غيرهم

أفادَ تقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ اختصاصهم بالقول، أي: قيل لهم هذا القول التَّوبيخي دون غيرهم، كما أفادَ لفتَ انتباهِ السّامعين لقصَّتهم، والتَّشويق لمعرفة المؤخَّر، وهو القول المذكور.

معنى الاستفهامِ في الآية:

الاستفهامُ في قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ استفهامٌ عن تعيينِ مكانِ الأصنامِ إنْ لم تكن حاضرةً، أو عن عملها إنْ كانت حاضرةً في ذلك الموقف؛ تنزيلًا لعدم جدواها فيما كانوا يأملونه منها منزلةَ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 57.
(2) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1349.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 151.
(4) السّيوطي، الإتقان: 2/ 266.

العدم؛ تهكُّمًا بهم وتوبيخًا على إشراكهم وتوقيفًا على هذا الخطأ[1]، وتقريعًا وتبكيتًا؛ إذ هو استفهامٌ لا يُتوقَّع له جوابٌ[2]، وهو كذلك استفهامٌ يفيدُ التَّحسير والتَّغميم؛ إذ "يجمعُ عليهم الغموم كلَّها والحسرات، فتُجعلُ النّارُ بمرأى منهم، فيُهلكون غمًّا في كلِّ لحظةٍ، ويوبَّخون على إشراكهم، فيقال لهم: أين آلهتكم؟"[3].

الاستفهامُ عن مكانِ الأصنام أو عملها يوم الحساب تهكُّمٌ بالكافرين وتوبيخٌ لهم

وقد سُلِّط الاستفهامُ على مكانِ الأصنام دون الأصنام نفسها، والمرادُ نفيُ أنْ يكون لهم مكانٌ، ونفيُ المكان يستلزمُ نفيَ الكائن فيه، وهذه كنايةٌ عن عدم وجود الأصنام، فضلًا عن عدم وجودِ نفعها لمن كانوا عابديها في الدُّنيا[4].

علَّةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بالاسم الموصول ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ دون الاسم الظّاهر، فلم يقلْ: (أين معبوداتكم؟)؛ للإيذانِ بأنَّ معنى الصِّلة معروفٌ لدى المخاطَبين، فأغنى عن التَّصريح به اسمًا، كما أنَّ التعبيرَ بالاسم الموصول يفيدُ الدَّلالةَ على عموم المعبودات التي عبدوها من الأصنام والكواكب وغير ذلك، والمعنى: (أين كلُّ معبوداتِكم من دون اللّه؟) وفيه تحقيرٌ واستخفافٌ بهذه المعبودات العاجزة عن نصرتهم، بل عاجزة عن نصرة نفسها، وما يتضمنه الاسم الموصول من إبهامٍ يؤكِّد هذا الاستخفافَ، ولا سيَّما أنَّ ﴿مَا﴾ تُستعمل لغير العاقل.

بيانُ عجزِ كلِّ المعبودات التي عبدوها واستخفافٌ بها وتحقيرٌ لها

علَّةُ التَّعبيرِ بالكون الماضي في: ﴿كُنتُمْ﴾:

جاء التَّعبيرُ بلفظ ﴿كُنتُمْ﴾ الذي هو جملة اسميَّةٌ تفيدُ الثَّباتَ والدَّوام في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾؛ تهويلًا لعبادتهم

تهويلُ استمرارِ قومِ إبراهيم في عبادة من لا يستحقُّ ذلك زيادةُ تحسيرٍ لهم وتوجيع

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 151.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 251.
(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 322.
(4) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 102.

مَن لا يستحقُّ العبادة؛ إذ إنَّهم رغمَ ثباتهم واستقرارهم ودوامهم على عبادتها زمنًا طويلًا، فهي لا تنفعهم، بل لا استطاعةَ لها على ذلك، وهذا التَّهويلُ بعدما أُزلفت الجنَّة للمتقين، وبُرِّزت الجحيم للكافرين الذين يخاطبهم إبراهيمُ، فيه زيادةُ تحسيرٍ وتوجيع لهم.

عِلَّةُ التَّعبيرِ في ﴿تَعۡبُدُونَ﴾:

العبادةُ لا تكون إلّا لمن يستحقُّها لا لأصنامٍ ثبتَ عجزُها رغمَ طول عبادتها

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بلفظ ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ دون غيرِه؛ للدَّلالة على كمالِ توبيخهم؛ إذ العبادةُ لا تكون إلّا لمن يستحقُّها بما يملكُ من القدرةِ المطلقة، وهذه معبوداتٌ لا تملكُ نصركم ودفْعَ العذاب عنكم، بل لا تملكُ دفعه عن نفسها، والتَّعبيرُ بصيغة المضارع؛ للدَّلالة على استحقاقِهم لهذا التَّوبيخ ولهذا العذاب، فقد كانوا يعبدونها في الدُّنيا على سبيل التَّجديد والاستمرار[1]، وليصوِّرَ لهم قُبْحَ ما كانوا يفعلون من خضوعهم وذلِّهم لمنْ لا ينفعهم، ولا استطاعةَ له على أنْ ينفعهم؛ ليحملَ هذا التَّصويرُ المخاطَبين بالقرآن من الكافرين على النُّفورِ ممّا هم فيه من عبادةِ الأصنام.

نكتةُ حذفِ مفعولِ: ﴿تَعۡبُدُونَ﴾:

تحقيرُ اللهِ لمعبودات المشركين وعدمِ الاعتدادِ بها زيادةٌ في توبيخهم

حَذَفَ البيانُ القرآنيُّ المفعولَ في قوله: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فلم يقلْ: (تعبدونه من دون الله) اختصارًا؛ إذ سبق الحديث عنها في قوله: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١﴾ [الشعراء: 70 - 71]، وللإشارةِ إلى تحقيرِ معبوداتهم وعدمِ الاعتدادِ بها بعدم التَّصريح بذكرها، بما يكون فيه زيادةُ توبيخٍ للمشركين.

في تذكير الغاوين بحالهم مجاوزين اللهَ في عبادتهم مزيدُ تبكيتٍ وتوبيخٍ لهم

الموقعُ الإعرابيُّ لقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

الجار والمجرور ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حالٌ من واو تعبدون، والمعنى: حالة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 58، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 101.

كونكم - أيُّها الغاوون - مجاوزينَ اللّهَ في عبادتكم[1]، وفي تذكيرهم بحالهم مجاوزين الله في عبادتهم مزيدُ تبكيتٍ وتوبيخٍ لهم.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالةُ التَّعبير في: ﴿دُونِ﴾:

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حرفُ جرٍّ، يحتمل أنْ يكون للتَّأكيد، إنْ كانت ﴿دُونِ﴾ بمعنى: (غير)، والمعنى: (أين ما كنتم تعبدون أصنامًا غير الله؟) أو ابتدائيَّة؛ إنْ كانت ﴿دُونِ﴾ اسمًا للمكانِ المُباعَدِ، فهي إذًا مُستعارةٌ لمعنى المخالفة أو الخسَّة والحقارة، والمعنى: (تعبدون أصنامًا موصوفة بأنَّها مخالفةٌ لصفاتِ الله، أو خسيسةٌ حقيرة).

زيادةُ تبكيتِ العابدين غيرَ اللهِ وتعنيفهم وتحقيرِ شأنهم وشأنِ معبوداتهم

وقد عبَّر النَّظمُ الحكيم بلفظ الدّونيَّة في الآية، وأضافه إلى اسم الجلالة؛ تحقيرًا لمعبوداتهم وزيادةَ تبكيتٍ لهم، وتعنيفٍ وتقريعٍ، حيث انصرفوا عن عبادةِ اللّهِ - الملك الذي لا كفءَ له؛ إذ هو خالقُهم ورازقهم والمنعم عليهم إلى عبادة المخلوقِ الأدنى خِسَّةً ورتبةً، ويزعمون أنَّ هذه المعبوداتِ الباطلةَ تشفعُ لهم وتقيهم شرَّ يوم الحساب[2].

سرُّ اصطفاءِ الاسم ﴿ٱللَّهِ﴾ وإظهاره:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ بالاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾ دون غيره، وأظهره، ولم يُضمره رغم أنَّه قد سبق ذكره ﴿أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، فلم يقلْ سبحانه: (تعبدون من دونه)؛ تربيةً للمهابةِ في النُّفوس، بذِكْر الاسم الجامع لكلِّ صفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ، فهو الملكُ الذي لا كفءَ له، وإظهارًا لقدرته تعالى وعجز معبوداتهم[3]، وخاصَّة أنَّ السّياقَ سياقُ تعظيمٍ لله وتحقيرٍ لمعبوداتهم، بما يتضمَّن تعريضًا بفظاعةِ صنيعهم وقبحِهم، وهو إعراضُهم عن عبادةِ الله المستحقِّ للعبادة، وعبادة أصنامٍ لا تملكُ أنْ تدفعَ عن نفسها العذابَ.

الإعراضُ عن عبادةِ الملك الذي لا كفءَ له غايةُ الحمقِ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 95، والهرري، حدائق الرّوح والريحان: 20/ 269.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 58.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 58.

معنى الاستفهام في الآية:

زيـادةُ التَّهكُّمِ بـالمـشـركـين وتـوبـيـخـهـم عـلى خطئهم؛ لـيـزدادوا غـمًّا بعد غمٍّ

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ يفيد - إضافةً إلى زيادةِ التهكُّم والتَّوبيخ وتوقيف المشركين على خطئهم - الإنكارَ أن تَكونَ الأَصنامُ نُصراءَ لهم[1]، وفيه كذلك زيادةُ التَّحسير والتَّسفيه لهم، فقد علموا من الاستفهام الأوَّل أنَّ ما كانوا يعبدونه من الأصنام إنَّما هو وهمٌ كاذب، ثمَّ زيدوا هنا غمومًا بعد غموم، وحسراتٍ فوق حسرات، فلا آلهة لهم تنصرهم، فتزحزهم عن النّار، وتدخلهم الجنَّة، بل ولا هي ناصرة لأنفسها، ومن عجز عن نصرة نفسِه أو نفعها؛ كان بالنِّسبة لغيره أشدُّ عجزًا، فهم وآلهتهم وقود النار[2].

وإيثارُ ﴿هَلْ﴾ دون الهمزة في الاستفهام، أي: لم يقل: (أينصرونكم أم ينتصرون)؛ للدَّلالة على أنَّ إنكاره عليهم كان شديدًا؛ إذ ﴿هَلْ﴾ أشدُّ استفهامًا من الهمزة، وهي مفيدةٌ للتَّحقيق؛ لأنَّها بمعنى (قد) في الاستفهام، فهو استنكارٌ على ما يعلمونه محقِّقًا من عجز الأصنام عن نصرتهم.

سرُّ تنزيلِ غيرِ العاقل منزلةَ العاقل:

أسـلـوبٌ قـرآنيٌّ يـوضِّـحُ ضعفَ حجَّةِ المشركين، ويـبرزُ التَّناقضَ والـعـبـثـيـة في اعتقادهم

ضميرُ الجمعِ في قولهِ تعالى: ﴿يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ للآلهةِ الَّتي عبدها الكافرون من دونِ الله تعالى، وهي أصنامٌ غيرُ عاقلةٍ، إلّا أنَّ البيانَ القرآنيَّ قد نَزَّلها منزلةَ العاقل؛ لكون المشركين كانوا يعتقدون أنَّ هذه الأصنامَ تستطيعُ أنْ تنصرَهم، أو تدافعَ عنهم، فهم يعاملونها، وكأنَّها كائناتٌ عاقلةٌ قادرة على الفعل، وهذا من باب التَّهكُّم والسُّخرية والاستهزاء بعقول المشركين الذين يظنّون أنَّ الأصنام تملكُ قدرةً على النَّصر أو الانتقام، ليبرز التَّناقض

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 151.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 102.

والعبثيَّة في اعتقادهم، وبهذا الأسلوب البلاغيِّ، يوضِّحُ القرآنُ الكريم ضعفَ حجَّةِ المشركين، ويبرزُ قوَّةَ التَّوحيد والإيمان باللّه الواحدِ القادر على كلِّ شيء.

دلالةُ صيغةِ المضارع في الآية:

الـكـفـارُ أشـدُّ حـاجـةً إلى من يـدفـعُ عـنـهـم الـعـذابَ في الحال والمستقبل

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ صيغةَ المُضارِعِ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ رغم أنَّه قد يُظَنُّ أنَّ الأنسبَ هو التَّعبيرُ بالماضي؛ لأنَّه المناسبُ لقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، أي: وقيلَ لهم: هل نَصَروكُم؟ لأنَّه مستقبلٌ بالنسبةِ إلى القيلِ، كما أنَّه كذلكَ في الواقعِ[1]؛ لأنَّ هذا الكلامَ يُخاطَبُ به المشركون، وهم في أشدِّ الحاجةِ إلى من يدفعُ عنهم العذابَ حالًا ومستقبلًا[2]، ولِما في التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ من زيادةِ التَّناسبِ، الذي بين قوله: ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾ و﴿يَنتَصِرُونَ﴾ حُسْنًا وتثبيتًا للمعنى، ممّا يكونُ له أثرٌ في زيادةِ التَّبكيتِ لهم، وكذلك فيه مراعاةُ فاصلةِ الآية ﴿يَنتَصِرُونَ﴾، ممّا يزيد من جماليَّة النَّص.

معنى ﴿أَوْ﴾ ودلالتها في قوله: ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾:

إضرابٌ يبطلُ أيَّ قـدرةٍ للأصنام عـلى الانـتـصـار لـنـفـسـهـا أو لغيرها

﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ للإضراب، فليست قائمة مقام (أم)، والمعنى فيها الإضرابُ عن أنْ ينصروكم، أو هم ينتصرون، بأنْ تحمي الأصنامُ نفسَها من عذابٍ واقعٍ أو متوقَّع[3]، أي: "كيف يخلِّصونكم من عذاب النّار؟ بل كيف يقدرون على خلاصِ أنفسِهم منها؟"[4].

نكتةُ تقديم ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾ على ﴿يَنتَصِرُونَ﴾:

أصنامٌ لا تنتصرُ لنفسِها فضلًا عـن أنْ تـنـصرَ غيرَها

في تقديم ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾ على ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ ترقٍّ ومُبالَغةٌ، أي: كيفَ يُخلِّصونَكم مِن عذابِ النّارِ؟ بل كيف يَقدِرونَ على خَلاصِ

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 14/ 267.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 102.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5373.
(4) الطّيبي، فتوح الغيب: 11/ 384.

أنفُسِهم منها؟ فوُضِع ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ - وهو مَن انتَصَرَ منه، أي: انتَقَمَ - مَوضِعَ الاستِخلاصِ؛ مُبالغةً وتَهكُّمًا[1]، كما أنَّ الخطابَ بالاستفهام في الآيات: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ موجَّهٌ للغاوين؛ لإقامة الحجَّة عليهم لا على أصنامِهم؛ ولذا قُدِّموا في الذِّكرِ في قوله: ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾ على آلهتهم في قوله: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾، أي: لأنفسِهم، والفاعلُ فيهما هو الآلهةُ.

دلالةُ المجرَّدِ والمزيد في (نَصَرَ):

المبالغةُ في إظهارِ عجزِ الأصنام عن نصرةِ الغاوين تزيدُ من حدَّةِ التَّوبيخ والتَّبكيت

في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ استخدم البيانُ القرآنيُّ صيغةَ المجرَّد ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾ من الفعل (نصر) التي تشيرُ إلى الفعل البسيط والمباشر للنُّصرة أو المساعدة، كما استخدم صيغةَ المزيد ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ من الفعل (انتصر) التي تشيرُ إلى التَّكلُّف وبذل الجهد لتحقيق النُّصرة أو الدِّفاع عن النَّفس، وفي الجمع بين الصيغتين مبالغةٌ في إظهارِ العجز لأصنامهم عن تقديم النَّصر بكافَّة أشكاله، ممّا يزيد من حدَّة التَّوبيخ والتَّبكيت، وفي استعمال الصيغتين أيضًا تنوعٌ في المعنى؛ إذ الجمع بين الصيغتين يثري المعنى، ويعطي أبعادًا متعدِّدة للسُّؤال، حيث يشملُ القدرة على تقديم النُّصرة للآخرين، وكذلك القدرة على الدِّفاع عن النَّفس، وفيه تناسبٌ صوتيٌّ وفنّي، ممّا يعزِّز من جماليَّة النصِّ القرآني، ويزيد من تأثيره على المستمع.

في الحذفِ اختصارٌ وتحقيرٌ للأصنام ومبالغةٌ في إظهارِ عجزهم

نكتةُ حذفِ متعلّق الفعل ﴿يَنتَصِرُونَ﴾:

حَذَفَ النَّظمُ الحكيم متعلِّقَ الفعل في قوله: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾، ولم يقلْ: (ينتصرون لأنفسهم)؛ اختصارًا؛ لأنَّه مفهومٌ من السّياق؛

(1) الطيبي، حاشيته على الكشّاف: 11/ 384.

لأنَّه لمّا بيَّن القرآنُ عجزَ الأصنام عن دفْعِ عذاب الله عن غيرهم من العبدةِ في قوله: ﴿يَنصُرُونَكُمْ﴾، عُلِمَ أنَّ متعلَّقَ ينتصرون هو أنفسهم، وفي الحذف كذلك تحقيرٌ لهم بعدم ذكر هذا المتعلَّق، ومبالغةٌ في إظهار عجزِهم، فكأنَّ أنفسَهم غيرُ موجودةٍ، ومراعاةٌ كذلك للفاصلة القرآنيَّة، مثل: ﴿تَعْبُدُونَ﴾، ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾، ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العبادة والدُّعاء:

العبادة: تدلُّ في أصلها على لينٍ وذُلٍّ، ومنه طريقٌ مُعبَّدٌ، وهو المَسْلوكُ المُذَلَّلُ[1]، ومعنى العبادة في اللغة الطاعةُ مع الخُضوع[2]، وأصلُ العُبوديَّةِ الخضوعُ والذُّلُّ، والعِبادة: الطاعةُ، والتَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ[3]، والعِبادَةُ أبلغُ منها، لأنَّها غاية التَّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا من له غايةُ الإفضال[4]، وأمّا الدُّعاءُ؛ فأصله هو أَنْ تُميلَ الشَّيْءَ إِلَيْكَ بِصَوْتٍ وكَلامٍ يَكونُ مِنْكَ[5]، ومعناه المحوريُّ: جذبُ الشَّيءِ، أو محاولةُ ضمِّه إلى حيِّزٍ أو أمرٍ، كجذبِ النّاس إلى الوليمةِ والاجتماع، والسَّوق إلى الأمير، ومنه الدُّعاءُ بمعنى التضرُّعِ إلى اللهِ ﷻ في طلبِ أمرٍ، والرَّغْبَةُ إلى الله تعالى فيما عنْدَه من الخَيْرِ والابْتِهال إليه بالسُّؤالِ، والدُّعاءُ: العبادةُ؛ لأنَّ العبادةَ تَقرُّبٌ إلى المعبودِ واعتزاءٌ إليه واستكفاءٌ به، فهي من الجذبِ والانجذابِ، ويأتي بمعنى النِّداء استلفاتًا أو استحضارًا أو استنهاضًا، والدُّعاءُ: النِّداءُ والتَّسميةُ، يُقال: دعوته زيدًا ودعوته بزيدٍ؛ إذا سمَّيته به[6]، فالدُّعاءُ أعمُّ وأوسعُ دلالةً من العبادةِ؛ لأنَّ الدُّعاءَ يشملُ معنى العبادة وغيرها،

العبادةُ أخصُّ من الدُّعاء، فهي إظهارُ الطّاعةِ والخضوعِ ولا يستحقُّها إلّا من له غايةُ الإفضال

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عبد).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (عبد).
(3) الجوهريّ، الصحاح، والزبيدي، تاج العروس: (عبد).
(4) الرّاغب، المفردات: (عبد).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دعو).
(6) الزّبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (دعو).

كالاستغاثةِ والنِّداءِ والسُّؤالِ والاستعانةِ والتَّسميةِ، بخلافِ العبادةِ التي معناها إظهارُ الطّاعةِ والخضوعِ والتذلُّلِ، ولا يستحقُّها إلّا اللّهُ، ومن هنا ناسب استعمالُ العبادة مع الغاوين على نحو مخصوص؛ إذ كانوا يظهرون الطّاعة والخضوعَ والتذلُّلَ لأصنامهم، ويتركون المستحِقَّ للعبادة سبحانه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»